العرب
الإثنين 2020/08/17
السنة 43 العدد 11792

هذا هو سبب غضب أردوغان ويأسه

إرغون باباهان
رئيس تحرير في موقع أحوال تركية

تتمحور السياسة الغريبة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان اليوم تجاه إسرائيل، في أنّه يمكن لبلاده أن تقيم علاقات معها ومع من تشاء، لكنه غير قادر على الاعتراف للآخرين بذلك، وبدور الإمارات العربية المتحدة في المنطقة.

في الحقيقة، لا تزال أنقرة تدفع ثمناً باهظاً نتيجة عدوانية أردوغان في السياسة الخارجية لتركيا. واليوم جاء الهدف الأكبر الذي تمّ تسجيله في مرمى تركيا، الوحيدة في صراعها ضد اليونان في بحر إيجة وضد فرنسا في ليبيا، جاء الهدف من "الصديق المقرب، الرئيس الأميركي دونالد ترامب"، وهو اتفاق السلام التاريخي بين دولة الإمارات وإسرائيل برعاية أميركية.

وأمام ذلك الاتفاق، بدا أردوغان غير مدرك لمثل هذه التطورات، فجاءت ردّة فعله بطريقة لا معنى لها وغير لائقة تجاه ما حصل من مستجدات فاجأته وهو غير مستعد لها، بقوله "يمكن أن نتخذ خطوات لتعليق العلاقات الدبلوماسية مع أبوظبي أو سحب سفيرنا" ومُضيفاً "لم ولن نترك فلسطين لقمة سائغة لأحد أبدا".

وبالعودة إلى حديث مسؤول في وزارة الخارجية التركية، يخبرنا عن طبيعة علاقات بلاده مع إسرائيل: "تقوم العلاقات الثنائية بين تركيا وإسرائيل على أساس المنافع والمصالح المشتركة. ومع ذلك، فإن سياسات إسرائيل التي تؤثر سلبًا على السلام والاستقرار في الشرق الأوسط تسببت في بعض الأحيان بمشاكل في العلاقات".

وتمّ الاعتراف المتبادل بين البلدين في 28 مارس 1949، وبدأت العلاقات الرسمية بعد أول تمثيل دبلوماسي لتركيا في إسرائيل عام 1950، والذي تم الإعلان عنه في 7 يناير حينها.

واتخذت تركيا مبادرات من أجل العيش بسلام مع إسرائيل، لكن قافلة المساعدات الإنسانية غير الحكومية إلى غزة من قبل منظمات تركية ودولية والاعتداء عليها من قبل جنود إسرائيليين في 31 مايو 2010، والتي أدت إلى مقتل بعض المشاركين ومن بينهم أتراك، كان لها تأثير سلبي على العلاقات الثنائية، حيث تمّ استدعاء سفير تركيا في تل أبيب بعد الهجوم.

لاحقا، وفي إطار القوانين والأعراف الدولية لتطبيع العلاقات بين البلدين، اعتذرت الحكومة الإسرائيلية ودفعت تعويضات لأسر الضحايا، مع المطالبة التركية بإزالة القيود المفروضة على غزة.

ونتيجة للخطوات التي اتخذتها إسرائيل للوفاء بهذه الشروط تدريجيًا، تم التوصل إلى اتفاق في 26 يونيو 2016 للعودة إلى العلاقات الثنائية الطبيعية. وفي هذا السياق، تم التوقيع على "اتفاقية إجراءات التعويض" بين الطرفين في 28 يونيو 2016.

والملفت أيضا، وعلى الرغم من كل الأزمات التي مرّت بها علاقات أنقرة بتل أبيب، فقد حافظت العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع إسرائيل، على قوتها. وفيما يعترف أردوغان بإسرائيل كدولة، ها هو الآن غاضب لما تفعله الإمارات العربية المتحدة بعد 70 عامًا من قيام بلاده بذلك.

لماذا؟ هل من أجل حماية شعب فلسطين ؟

كل من يتابع السياسة في العالم يعرف أن هذا هراء. إذ تعتبر تركيا الاتفاق الإماراتي الإسرائيلي المفاجئ بمثابة مزيد من العزلة لها في المنطقة، إنها تخسر نفوذها في المنطقة تدريجياً، وفي الحقيقة فإن الجميع سوف يخسرون أيضاً جزءاً من السوق في المنطقة.

هذا مؤلم جدا وغير عادل للفلسطينيين. لكن ما حدث يعكس اتجاهاً لا رجوع فيه. فالخطر الآن في العديد من الدول العربية ليس من إسرائيل، إذ تتسبب كل من إيران وتركيا في المزيد من التوتر والقلق في المنطقة. وتحجيم هذين الخطرين هو الأولوية القصوى لتلك الدول. أما إسرائيل، التي تتمتع بقدرات عسكرية وتكنولوجية فائقة، فإنها اليوم بمثابة شريك طبيعي وجذاب لهذه الدول ضدّ الخطر الإيراني بشكل خاص. كما أن إسرائيل تعتبر بحق إيران وحلفائها في سوريا ولبنان والعراق واليمن وقطاع غزة أكبر تهديد لأمنها.

كان من المتوقع أن ترفض كل من طهران وأنقرة الاتفاق الإسرائيلي الإماراتي بشدّة. لكن من ناحية أخرى، فإن هذه الاتفاقية كان المفترض نظرياً أن يتم تأييدها، حيث تصف كل من تركيا وإيران نفسها بأنها حليف لا يقهر للفلسطينيين في العالم الإسلامي، وبالتالي فالاتفاقية تتيح الفرصة لتعزيز مطالبهما بالقوة والقيادة.

لكن في الواقع، فإنّ ذريعة "التضامن" مع الفلسطينيين، هي في الحقيقة مجرد ذريعة رخيصة لتركيا وإيران، إنها فقط مصالحهما الخاصة التي تتحكم في سياساتهما وردود فعلهما، ولا شيء آخر.

في رؤيته للاتفاق المذكور باعتباره زلزالاً جيوسياسيًا في الشرق الأوسط، قال كاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز، توماس فريدمان، إنه يعتبر كلا من قطر وتركيا في قائمة الخاسرين من هذه الاتفاقية. ويقول مع افتراض تزايد الوجود العسكري في المنطقة، فإن كل من تركيا وإيران، وإضافة للعلاقات السيئة بينهما، هما الخاسر الأكبر في الاتفاق التاريخي.

ومن خلال هذه الاتفاقية، يرى فريدمان أن الإمارات وجهت رسالة واضحة، إذ يوجد الآن ائتلافان في المنطقة، أولئك الذين يدفنون الماضي ويتطلعون إلى المستقبل، وأولئك الذين يسمحون لماضيهم بدفن مستقبلهم.

وبينما تتصدر الإمارات العربية المتحدة الائتلاف الأول، فإنها تترك قيادة الثاني لإيران.

وكما صرّح فريدمان، فإنّ مهندس هذه الاتفاقية، هو الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ولذلك فإذا اتخذ أردوغان موقفًا مخالفًا تمامًا لهذه الاتفاقية وإجراءات ضدّها، فإنه يخاطر بفقدان صديقه الوحيد ترامب وواشنطن، وبالتالي فإنّ عليه أن يتخذ خطواته بحذر شديد. وهناك أيضًا خطر خسارة الإمارات العربية المتحدة كسوق بالكامل، وذلك بصفة أردوغان رئيساً لدولة أفلس اقتصادها وقارب على الانهيار.

ويُحاول فريدمان الحديث بودّ ونصيحة تجاه موقف تركيا من الاتفاق، لكنّ التحالف الإسلامي القومي السياسي الذي يرأسه حزب أردوغان، العدالة والتنمية، قد جعل البلاد تشعر بأكملها بعزلة دولية كبيرة، وخطر إقصائها من منطقة البحر المتوسط إلى منطقة الخليج العربي.

لقد أدرك أردوغان أنه كان يخسر الكثير. هذا هو في الواقع سبب غضبه ويأسه.

اسألوا إيران وتركيا وقطر ماذا فعلت

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لدى قطاع كبير من العرب حساسية شديدة من قضية التطبيع، وهم محقون في ذلك، لأن إسرائيل ارتكبت الكثير من الانتهاكات في حق الشعب الفلسطيني، وشعوب عربية عدة، ولديهم الحق في الحزن من مغبته إذا كان مجانيا، أو فوت فرصة جادة يمكن استثمارها في الضغط للحصول على تنازلات لإقامة الدولة الفلسطينية.

يبدو حديث التطبيع جذابا وشائكا ومتشعبا، ويتم توظيفه أحيانا للتغطية على تجاوزات معينة جرت في الخفاء، وعدم الوقوف عند تصرفات سلبية فاضحة لبعض القوى المتدثرة برداء الصمود والمقاومة والرفض.

ويُقصد منه التشويش على ممارسات من أسهموا في تمكين إسرائيل من ابتلاع المزيد من الأراضي العربية، وتغيير جانب من طبيعة الصراع معها، ونقلها من عدو حقيقي إلى محتمل، وتحول دول مثل إيران وتركيا وقطر من خصوم محتملين إلى واقعيين.

تقتضي الرؤية الشاملة مكاشفة من هذا النوع لوضع النقاط أعلى وأسفل الحروف، لأن جر النقاش إلى خانة لماذا أقدمت دولة الإمارات العربية إلى إعلان قبولها توقيع معاهدة سلام من إسرائيل قد يكون مبتورا، ما لم تتم قراءة المشهد الإقليمي بكل مكوناته، فالمعضلة الكبيرة تكمن في الدول التي لعبت دورا في الوصول إلى هذه النتيجة، والمؤكد أن الإمارات ليست واحدة منها.

لو انتفضت الأصوات التي تستنكر التعامل مع إسرائيل حيال إيران وتركيا وقطر، لكان هناك حد أدنى من التماسك العربي، وحد أقصى من القبول بالتعاطي معها، وحد متوسط للحصول على ما يمكّن الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة، كما حوته الكثير من المبادرات الدولية والإقليمية، ولعل المبادرة العربية أشارت إلى مكونات واضحة في هذا المضمار الدقيق والعميق.

تمادت إيران في اختراق الكثير من الدول العربية، وأدت إجراءاتها إلى تكبيل العراق وشل حركته الاستراتيجية، وإخراجه تقريبا من المنظومة العربية التي خسرت واحدة من الجبهات المهمة في مجال الصراع العربي مع إسرائيل.

تجاوزت طهران كل المعايير مع سوريا، وحاولت فرض قبضتها على مفاتيح الحل والعقد في عدد كبير من الملفات، وأسهمت في تكالب قوى أخرى على الدولة لتنهش وحدتها الإقليمية.

خرجت سوريا من حلبة الحرب والسلام مع إسرائيل، مع أنها واحدة من دول المواجهة المركزية معها، وفقدت قدرتها على المطالبة باستعادة هضبة الجولان السورية، فما بالك بدورها كواجهة رئيسية في محور المقاومة؟

فعلت إيران الأمر نفسه مع لبنان، إلى الدرجة التي أصبح فيها سلاح حزب الله يوجه إلى صدور اللبنانيين قبل الإسرائيليين، ويولي اهتماما بالدفاع عن مصالح طهران قبل مصالح بيروت.

هكذا خرب الملالي دولة أخرى من الدول الواقعة في المواجهة القريبة من إسرائيل.

ناهيك عما فعله المال الإيراني بالشعب الفلسطيني، من استقطاب لفصائل على حساب أخرى، وتسخير لسلاح المقاومة حسب المتطلبات الإيرانية وليس الفلسطينية.

يمكن أن تكر المسبحة حباتها لتصل إلى تدخلات إيران في اليمن والسودان وليبيا وغيرها. وكلها حلقات في سلسلة شتت الانتباه بعيدا عن جوهر الصراع مع إسرائيل، وجعلته هامشيا.

منحت التدخلات في شؤون كثير من الدول العربية، إسرائيل فرصة للمزيد من التمدد، وانعكست سلبا على درجة التلاحم، وأفضت إلى التخلي عن الحد المقبول لجملة الثوابت العربية، ولم تطلق إيران رصاصة واحدة نحو جبهة إسرائيل، أو تقدم الدعم اللازم لكل القوى الوطنية بالتساوي للحفاظ على مركزية القضية الفلسطينية.

لو انتفضت الأصوات التي تستنكر التعامل مع إسرائيل حيال إيران وتركيا وقطر لكان هناك حد أدنى من التماسك العربي وحد متوسط للحصول على ما يمكّن الشعب الفلسطيني من إقامة دولته

قاد الدعم العقائدي إلى انحراف كبير عن المسار الوطني، وحصر فكرة الصراع على المستوى النظري في طيف معين من الفصائل وتجاهل الأطياف والألوان الأخرى بصورة ساعدت إسرائيل على المزيد من تصفية القضية الأم، لأن الخطوات التي قامت بها طهران جنت من ورائها تل أبيب فقط مكاسب كبيرة تفوق في محصلتها المكاسب التي ستجنيها من التطبيع، فمن إذا يتحمل الوزر الأكبر، السبب أم النتيجة؟

مضت تركيا على المنوال نفسه، مع فارق جوهري، أنها تحتفظ بعلاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل، وتعقد صفقات واتفاقيات متنوعة، وتقوم بتوزيع أدوار معها.

وأدت تدخلات أنقرة في كل من سوريا والعراق وفلسطين وليبيا والسودان والصومال، ومناوشاتها المستمرة مع مصر وفي شرق البحر المتوسط، إلى تسليط الأضواء على مغامراتها وألاعيبها، وحرفها بعيدا عن إسرائيل وما تقوم به بحق الشعب الفلسطيني.

قادت طموحات إيران وتركيا في المنطقة العربية إلى تحول كلاهما من خصمين محتملين إلى حقيقيين، وتفرعت عن التحركات السلبية التي قامتا بها انقسامات وتحرشات وتجاذبات، استفادت منها إسرائيل في شغل عدد كبير من الدول العربية بهمومها الداخلية بعيدا عنها، واستقطاع جزء من الوقت والجهد والتفكير والنفقات لمطاردة كل من طهران وأنقرة بدلا منها.

سلكت كل دولة منها مسالك مظلمة في دول عربية عديدة، ومنحت إسرائيل الفرصة بعد الأخرى لتصعيد أطماعها في الأراضي الفلسطينية، وقد شهدت السنوات الماضية تغيرا في الأولويات، وباتت غالبية الدول العربية تلتف حول المواجهة السياسية، أو التهديد بالعسكرية، مع كل من إيران وتركيا أكثر من إسرائيل.

تضاف حصيلة الخطوات التي اتبعتها قطر من دعم واحتضان الجماعات المتطرفة وتمويل التنظيمات الإرهابية في المنطقة، إلى الحصيلة القاتمة التي أثمرتها تدخلات إيران وتركيا، لذلك تجد الدول الثلاث تتقاطع في الكثير من الإجراءات، ما حرف الصراع مع إسرائيل عن مساره وأوجد سياقات فرعية قطعت جزءا من الصراع المركزي.

حاول من توقفوا عند قطار التطبيع وعددوا محطاته وفرقوا بين دول مواجهة وأخرى على الهامش، ودول وقّعت اتفاقيات مع إسرائيل لاسترداد أراضيها وأخرى تتعامل لجني أرباح اقتصادية، القفز على الواقع المر، بغرض إبعاد الشبهات التي أحاطت بكل من إيران وتركيا وقطر وعدم تحميلها جانبا معتبرا من المسؤولية التي جعلت حديث التطبيع مسألة عادية، لا يثير المخاوف السابقة، فالحالة العربية العامة المتردية لعبت دورا مهما في تغير النظرة من إسرائيل.

يجب أن توجه الأسئلة الصعبة إلى الدول الثلاث التي قادت المعارك الجانبية وأغرقتنا في تفاصيلها، ومن لف لفها من دول ومنظمات متباينة، فالصورة تقتضي رؤيتها من زوايا مختلفة كي تكتمل ويمكن تحديد حجم المسؤولية على الأطراف التي شاركت بشكل مباشر أو غير مباشر في النتيجة التي وصلنا إليها، وما أفضت إليه من تبديل في القضايا والملفات، وتعديل في خرائط الحلفاء والخصوم والأعداء.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

إما فلسطين الممكنة أو الاستمرار في الفوضى

فاروق يوسف
كاتب عراقي

إسرائيل ليست على حق في سلوكها مع الفلسطينيين الذين اعترفوا بها دولة على جزء من أرض فلسطين التاريخية. تلك مسألة لا تقبل النقاش. غير أن المزايدات كثرت من حولها بحيث ضاع الحق. وما كان القانون الدولي يضمنه للفلسطينيين غمرته السجالات بفقاعاتها الهوائية بحيث صار من الصعب على جهات الاختصاص أن تفرق بين مَن يرغب فعلا في التقدم بالقضية إلى الأمام ومَن يتخذ منها غطاء لوجوده المريب ومشاريعه المشبوهة.

فقد الفلسطينيون في خضم الصراع قياداتهم التاريخية واستلم القضية رجال أعمال مهنيون هم على قدر من الحرفة التي لا تمت بصلة إلى قرار المصير الفلسطيني وانفتح الواقع على مآلات مختلفة. كل واحد منها ينفي الأخريات فكانت المتاهة الفلسطينية تزداد سعة وتكثر دروبها في ظل انسداد الأفق للوصول إلى حل سياسي بعد أن وضع اتفاق أوسلو نهاية للكفاح المسلح الذي قاد إلى نتائج مشرفة.

لم يكن الفلسطينيون في حاجة إلى وصاية عربية. كانت تلك خطوة في طريق إعلان رشدهم السياسي. وكان محمود عباس الرئيس الحالي رائدا في ذلك. حيث دبر كل شيء في أوسلو بالتشاور مع القيادة الفلسطينية وهو ما فاجأ الكثير من الأنظمة العربية التي اعتبرت اتفاقية أوسلو خيانة لقضية العرب المركزية ونددت بها غير أنها تواضعت في ما بعد لتعتبر السلطة التي انبعثت من لا شيء الممكن الذي يجب عدم تضييعه.

ذلك الممكن لم يعجب الكثيرين ومنهم إسرائيل، التي صارت تتعامل بغباء غير متوقع مع فرصة نادرة للسلام الذي كان عليها أن تحصد منافعه وهي الرابحة، فيما قبل الفلسطينيون أن يخسروا من أجل أن يمهدوا لقيام دولتهم المستقلة على جزء من فلسطين التاريخية.

وما مبالغة إسرائيل في تعاليها على الفلسطينيين إلا دليل على أنها لم تفهم أنها إذا ضيعت فرصة ذلك السلام فإنها قد تفتح أبواب جحيم لن يتمكن أحد من غلقها.

ذلك ما حدث. لقد دفعت المنطقة ثمن الغباء والعنجهية الإسرائيلية. صنعت إيران من فلسطين عربة لاحتلال عدد من الدول العربية وسحق شعوبها. كانت عجلات تلك

العربة جاهزة. حركة حماس وحزب الله والميليشيات العراقية كلها اجتمعت تحت لافتة المقاومة التي لم يستفد الفلسطينيون منها شيئا في حين أنها قامت بتدمير البنية الاجتماعية والسياسية للدول العربية التي تحيط بإسرائيل.

هل كانت إسرائيل تحلم بمحيط عربي تعمه الفوضى؟

ما حدث لم يكن في مصلحتها. كانت في حاجة إلى دول مستقرة على غرار مصر والأردن ولو أنها مشت في الطريق التي تبقي الفلسطينيين متمسكين برشدهم السياسي لما استطاعت إيران أن تستعمل القضية الفلسطينية في حربها ضد العرب ولما تمكن تيار المقاومة من استثمار الفشل الفلسطيني في مشروعه التخريبي الذي سمم صلة مجتمعات عربية بالقضية الفلسطينية.

اليوم تحاول إسرائيل استدراك ما فاتها. ليس التوقف عن مشروعها في ضم الأراضي الفلسطينية إلا بداية للتفاهم على أساس تسويات سيكون للفلسطينيين دور رئيس في نقلها إلى أرض الواقع. وليس من مصلحتهم الانضمام إلى جوقات المزاد التي لا تملك سوى الحديث المجاني عن التطبيع. الفلسطينيون هم الأكثر حاجة لمن يسندهم في الحوار مع الإسرائيليين. وهم لن يستطيعوا التعبير عن وجهات نظرهم إلا عن طريق وسيط عربي يثقون به بعد أن ضجروا من الوسيط الأميركي.

لا أدعو هنا إلى الواقعية السياسية بل أشير إلى أن تلك الواقعية صارت هي المجال الوحيد الذي يتحرك فيه الفلسطينيون لكي يصلوا إلى أهدافهم التي صاروا يبتعدون عنها بسبب غياب اللغة المشتركة التي تعيدهم إلى الحوار مع إسرائيل.

لقد قبل الفلسطينيون بفلسطين الممكنة وهو ما يجب أن لا يخسروه. أما إذا ضيعوا أنفسهم وسط المزاد فإنهم لن يربحوا شيئا. فالمقاومون أحرقوا مدنا عربية عظيمة ولم يحرروا سنتيمترا واحدا من فلسطين.